Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (7), Issue (2) March (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

مفاهيم عقدية عن التحسين والتقبيح الذاتي عند الأشاعرة

م.د مهند شوقي صبري

جامعة الفلوجة/ كلية العلوم الاسلامية

Research Title: Doctrinal concepts of self-improvement and self-contempt among the Ash'aris

Researcher Name: Asst. Dr. Muhannd Shawqi Sabry
University and College: University of Fallujah/College of Islamic Sciences
Email: muhannad.shawqi@uofallujah.edu.iq

الملخص

ان التحسين والتقبيح من اهم المواضيع التي ارتبطت بأفعال العباد وبمفاهيم الارادة الربانية والاسماء والصفات الثبوتية لله وتفرع منها معان خاصة تعاطت معها الفرق والمذاهب الكلامية بطريقة تفرعت منها جزئيات علمية كثيرة جدا ارتبطت بمفهوم الخطاب الديني ومنهجية الفهم وما كان حسنا وما كان قبيحا انما هو من منهج الفهم في اثار ارادة الحق مما امر به أو نهى عنه فلا سلطان للعقل المجرد في ادراك الحسن والقبح، وان الله اجمالا خالق كل شيء بأسلوب وفهم يتمحور حول التنزيه المطلق لله تعالى.وان اختلاف المذاهب الكلامية الاسلامية وكثرة اهل الاختلاف انما هو صادر من التركيز حول الفهم في التنزيه وكذلك علاقة افعال العباد بإرادة الله واسلوب فهم نظرية الكسب في هذا الباب .الكلمات المفتاحية: (التحسين ، التقبيح، الذات، الأشاعرة، الفرق) .

Abstract

The improvement and ugliness are among the most important topics that are linked to the actions of the servants and to the concepts of the divine will and the names and attributes of God, and from them branched out special meanings that the theological sects and schools dealt with in a way that branched out from them many scientific details that were linked to the concept of religious discourse and the methodology of understanding. What was good and what was ugly is only from the methodology of understanding in the effects of the will of the truth of what it commanded or prohibited. There is no authority for the abstract mind in perceiving good and ugly, and God in general is the Creator of everything in a style and understanding that revolves around the absolute transcendence of God Almighty. The difference between the Islamic theological schools and the large number of people of difference is only due to the focus on understanding in transcendence as well as the relationship between the actions of the servants and the will of God and the method of understanding the theory of acquisition in this regard.Keywords: (improvement, ugliness, self, Ash'ari, sect).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب الاعظم واله وصحبه وسلم وبعد :فان الكائنات التي خلقها الله وبجميع ما تحويها والكون باسره داخلة في الخط الاعظم لإرادة الحق سبحانه وتعالى وهذه الارادة العظيمة تقتضي ان يكون الحق سبحانه مريد لجميع الاشياء وهذا ما ذهب اليه اهل العلم واجمعت عليه المدارس الكلامية .ومن هنا نشأت تبعا للترف الفكري والعلمي لعلماء الامة بعض التساؤلات التي بنيت عليها قواعد الفكر العقدي الاسلامي من المتكلمين وحتى الشبه التي اثيرت كان للمجال العلمي الذي احيط بها الاثر العلمي التأسيسي للقواعد الكلامية .ومنها ما اوردوا شبها بان الله ان كان مريدا لجميع الاشياء فهل فهو مريد للشرور والقبح الموجود في بعض ما نراه من صور جزئية في الكون وتداخلت المفاهيم وهل ان النص وامر الشارع يقتضي ان ننظر الى تلكم المفاهيم ؟ وهل يمكن ان نلاحظ التحسين والتقبيح ذلك بالضرورة ام لا وهل هناك حاجة للنص ولفهمه لإدراك معان القبح والحسن فيها ؟ ومن هنا تنوعت تقسيمات ذلك الباب من تحسين وتقبيح ذاتي وجعلي وغير ذلك وقد جاء

البحث اولا من تعريف عام لمذهب الأشعرية من مطالب عرفت فيه التحسين والتقبيح وشرح لأصول لفكرة وكذلك النضرة عند الاشاعرة وعلاقة الحسن والقبح بخلق الافعال والارادة ..والله اعلم واحكم .

المطلب الاول من هم الاشاعرة

وهم اصحاب مدرسة انسبت لأبي الحسن الأشعري مسلمين من اهل السنة والجماعة اتبع منهاجها في العقيدة عدد كبير من فقهاء أهل السنة والحديث، فدعمت اتجاههم العقدي. ومن كبار هؤلاء الأئمة : البيهقي والنووي والغزالي والعز بن عبد السلام والسيوطي وابن عساكر وابن حجر العسقلاني والقرطبي والسبكي يعتبر الأشاعرة المرتكز الرئيسي لأهل السنة والجماعة حيث برز هذا المنهج على يد أبي الحسن الأشعري الذي واجه المعتزلة وانتصر لآراء أهل السنة وكان إمامًا لمدرسة تستمد اجتهادها من المصادر التي أقرّها علماء السنة فيما يخص صفات الخالق ومسائل القضاء والقدر بهذا مثّل ظهور الأشاعرة نقطة تحول في تاريخ أهل السنة والجماعة التي تدعمت بنيتها العقدية بالأساليب الكلامية كالمنطق والقياس، فأثبت أبو الحسن الأشعري بهذا أن تغيير المقدمات المنطقية مع استخدام نفس الأدوات التحليلية المعرفية يمكن أن يؤدي إلى نتائج مختلفة[1].إلى جانب نصوص الكتاب والسنّة، فإن الأشاعرة استخدموا العقل في عدد من الحالات في توضيح بعض مسائل العقيدة، وهناك حالات استخدم فيها عدد من علماء الأشاعرة التأويل لشرح بعض ألفاظ القرآن الموهمة للتشبيه، وهذا ما يرفضه السلفية وينتقدونهم عليه، وهناك في الاختلاف الكامل بين الأشاعرة والمعتزلة من جهة، وعدم مطابقتهم تمامًا لبعض أهل الحديث والحنابلة واختلافهم معهم في جزئيات منهجية عدّة من جهة أخرى: "وكان الأشعري مؤمنًا بأن مصدر العقيدة هو الوحي والنبوة المحمدية ..وما ثبت عن الصحابة وهذا مفترق الطريق بينه وبين المعتزلة، فإنه يتجه في ذلك اتجاهًا معارضًا لاتجاه المعتزلة، ولكنه رغم ذلك يعتقد ..أن الدفاع عن العقيدة السليمة، وغرسها في قلوب الجيل الإسلامي الجديد، يحتاج إلى الحديث بلغة العصر العلمية السائدة، واستعمال المصطلحات العلمية، ومناقشة المعارضين على أسلوبهم العقلي، ولم يكن يسوغ ذلك، بل يعدّه أفضل الجهاد وأعظم القربات في ذلك العصر، وهذا مفترق الطرق بينه وبين كثير من الحنابلة والمحدثين الذين كانوا يتأثمون ويتحرجون من النزول إلى هذا المستوى رجع المؤرخون الأشاعرة نشأة المدرسة الأشعرية إلى تاريخ اهتمام أئمة السلف بعلم الكلام واستخدامه في مواجهة الفرق التي اعتبروها مخالفة، ويعدّون الإمام أبا حنيفة النعمان هو المؤسس الحقيقي للمنهج الذي يسيرون عليه ومن بعده أئمة آخرون كالشافعي وابن كلاّب والبخاري وكان التأطير الكبير لمنهج الأشاعرة في مواجهة المعتزلة[2] على يد أبو الحسن الأشعري الذي يعد أبرز متكلمي أهل الحديث، حيث أن أبو الحسن الأشعري كان معتزليا يأخذ المذهب عن الجبّائي، وما لبث أن عارض شيخه ورجع لمنهج أئمة السلف ومنهم أبو حنيفة النعمان والشافعي وغيرهما من متكلمي أهل الحديث كعبد الله بن كلاّب وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي . في الانتصار بالأساليب الكلامية لعقائد السلف أهل السنة، خصوصا في المسائل المتعلقة بخلق القرآن والقضاء والقدر وذكر ابن عساكر أن أبا الحسن الأشعري اعتزل الناس مدة خمسة عشر يوما، وتفرغ في بيته للبحث والمطالعة، ثم خرج إلى الناس في المسجد الجامع، وأخبرهم أنه انخلع مما كان يعتقده المعتزلة، كما ينخلع من ثوبه، ثم خلع ثوبا كان عليه ورمى بكتبه الجديدة للناس فكسب بذلك تأييد العديد من الناس، وكثر أنصاره مؤيدوه من حكام [3]تحمل الإمام أبو الحسن الأشعري (رحمه الله) الدعوة الى عقيدة أهل السنة والجماعة ، ودافع عنها في حماسةٍ وإيمان ورد على المعتزلة ، وصار يتبعهم في **مجالسهم ومراكزهم وكـان يقصدهم بنفسهِ يُناظرهم فكُلِمَ في ذلك فقيل لـه ، كيف تُـخالط أهـل البُدع وتقصدهم بنفسك وقد أمرت بهجرهم ؟** فقال : هم أولو ريـاسة منهُم الولي والقـاضي ولرياستهم لا ينزلون إلي ، فإذا كانوا هم لا ينزلون إلي ولا أنا أسير اليـهم ، فكيف يظهر الحق ويعلمون أن لأهل السُنة ناصراً بالحُجة). نفهم من ذلك إن هذا النص يُفيدنا وخاصة ما صرح به الإمام الأشعري بأنه على السُنة وأنـه ناصرٌ له بالحُجة وأن هذا هو اتجاه أهل السُنة ويقول البعض الاخر : (ولم يكن أبو الحسن الأشعري أول من تكلم بلسان أهل السُنة والجماعة إنما جرى على سُنن غيرهِ ونصرة مذهب معروف ، فزاد المذهب حجـة وبياناً ولكنه لم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد بهِ[4] **. فالأنتساب اليه إنما هو باعتبار انه عقد على طريق السلف نطـــاقاً ، وتمسك بهِ ، وأقـــام الحجج والبراهين عليه فصار المُقتدى بهِ فـــي ذلك ، السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعريا)** [5] وأن منهج الأشعري لم يبق جامداً بل تطور، وإن كان على القاعدة نفسها التي وضعها المؤسس مع بعض التباين في تطبيقات هذه القاعدة القائمة على جعل العقل خادماً للنصوص وعدم اتخاذه حاكماً عليها ليؤوّلها أو يمضي ظاهرها كما هو الحال عند المعتزلة، وقابلية المنهج للتطور كان محصوراً في الجانب العقلي ومنسجماً مع المرونة التي اتبعها المؤسس لجهة استعمال العقل كخادم لا كحاكم.

المطلب الثاني الحسن والقبح لغة :

الحسن ضد القبح ونقيضه، وهو بالضم للجمال[٦] ، وقال الأصمعي: الحسن في العينين والجمال للأنف، أما الحسن بفتح الحاء يقول : الراغب: الحسن عبارة عن كل مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحس[٧]وأصل قولهم شيء حسن حسين لأنه من حسن يحسن كما قالوا: عظم فهو عظيم، وكرم فهو كريم، ثم قلب الفعيل فعال ثم فعّال إذا بولغ في نعته، فقالوا : حسين وحسان وحسّان وجمع الحسناء من النساء حسان[٨] والقبح ضد الحسن يكون في الصورة والفعل، ويفتح قبح ككرم، ويقبح قبحًا بالضم وقبحا بالفتح (قباحًا) كغراب و (قبوحًا) كقعود و (قباحة) كسحابة، و(قبوحة) بالضم فو قبيح من قوم قباح وقبائع ، وامرأة (قبحى وقبيحة من نسوة قبائح وقباح، وقبحه الله قبحًا وقبوحًا أقصاه ونحاه وبعده.. [٩] الحسن والقبح اصطلاحًا :يطلق الحسن والقبح بثلاثة اعتبارات:الاعتبار الأول : أن الحُسْن هو ملاءمة الطبع ، والقُبْح هو منافرته كقولنا: إنقاذ الغريق حسن، وإتهام البريء قبيح ؛ وهو بهذا المعنى لا يعتر ذاتيا بل هو عقلي[١٠] .الاعتبار الثاني: الحسن ككون الشيء صفة كمال ككون العلم صفة كمال وارتفاع شأن لمن اتصف به وكون الجهل صفة نقصان واتضاع حال لمن اتصف به، وهذا النوع متفق على أنه عقلي [١١] الاعتبار الثالث: أن الحُسْن هو استحقاق الثواب والمدح، والقُبح استحقاق العقاب والذم.فالأول والثاني للحسن والقبح متفق عليهما بين المتكلمين انهما عقليان مدركان بالعقل. قال القرافي: (والأولان عقليَّان إجماعاً)، وإنما وقع الخلاف في الثالث. كالطاعات والمعاصي، فالحسن على هذا ما تعلق به المدح والثواب في العاجل والآجل. والقبيح ما تعلق به الذم والعقاب في العاجل والآجل ؛ وما لا يتعلق به شيء منهما فهو خارج عن الحسن والقبيح يقول السبكي: " واعلم أن الحسن والقبح قد يراد بهما كون الشيء ملائما للطبع ومنافرا، أو كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص كقولنا العلم حسن والجهل قبيح وبهذا التفسير لا نزاع في كونهما عقليين إنما النزاع في كون الفعل متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا[١٢] .

المطلب الثاني اصول الفكرة:

القول بالتحسين والتقبيح العقليين ليس من أقوال فرق المسلمين بل سبقتهم قبل الإسلام بعض الديانات الهندية، وهو قول التناسخية[١٣] والبراهمة[١٤] والثنوية[١٥] ، وقد ذكر ذلك الإمام الرازي والإمام الآمدي في كتبهم[١٦] ، وهم بذلك الذين وضعوا البذور الأولى للقول بإيجاب المعارف عقلاً. وليس ببعيد أن تكون هذه المسألة وصلت للمسلمين عن طريق التأثير المباشر بالثقافة الفارسية والهندية التي ترجمة إلي اللغة العربية ووصلت للمسلمين في عصر النهضة العلمية التي بدأت في أواخر الدولة الأموية واستمرت حتى العصر العباسي الثاني، ولاشك أن هذه الثقافات أثرت في أذهان المفكرين المسلمين وآمن بها بعضهم واتخذها مذهبا[١٧] ، ولا يستطيع أحد من الناس أن ينكر مسألة تأثر بعض الفرق الإسلامية بالمذاهب الغير إسلامية ولا أدل على ذلك ما فعله الفلاسفة الإسلاميين من تأثرهم بالفلسفة اليونانية ومحاولة تطبيقها على الشريعة الإسلاميةوسبقهم أيضا فلاسفة الإغريق منذ وقت مبكر، عند تقسيمهم الحكمة إلى نظرية وعملية، وحاصل التقسيم أن ما يدركه الإنسان على قسمين:

١- يدرك الإنسان ما من شأنه أن يعلم، مثل الله ،موجود، والعقل موجود، أو أن زوايا المثلث مساوية لزاويتين قائمتين.

٢- يدرك ما من شأنه أن يعمل ، كقولنا العدل حسن، والظلم قبيح.يقول الفارابي (ت: ٣٣٩) : إنَّ الحكمة النظرية هي التي بها يحوز الإنسان علم ما ليس من شأنه أن يعمله إنسان، والحكمة العملية هي التي يعرف بها ما من شأنه أن يعمله الإنسان بإرادته. [١٨]أول من بحث هذه المسألة ممن ينسبون إلى أهل الكلام هو الجهم بن صفوان، حين وضع قاعدته المشهورة : " إيجاب العارف بالعقل قبل ورود الشرع" ، وقال إن العقل يوجب ما في الأشياء من صلاح وفساد وحسن وقبح وهو يفعل هذا قبل نزول الوحي ثم يأتي الوحي مصدقا لما قال به العقل من حسن بعض الأشياء وقبح بعضها. [١٩]يقول الدكتور النشار : اعتبر المعتزلة رواد العقل في الإسلام وهذا خطأ . كانت المعتزلة امتدادا لفرقتين متضادتين هي القدرية والجهمية اختلفت الفرقتان من ناحية واتفقتا من ناحية أخرى، أما اختلافهما فيبدو فى أن الأولى قدرية، والثانية جبرية. ولكن الفرقتين اتخذتا منهج التأويل العقلي. وجاءت المعتزلة خليطا من الاثنتين، اتخذت من ناحية مذهب الإرادة الحرة، كما استخدمت التأويل العقلي كاملا... وأعلنوا أن «العقل قبل ورود السمع» فإن العقل هو الذى يحسن ويقبح. وإن الأشياء حسنة وقبيحة في ذاتها وليس للنص من قيمة فى ذاته سوى أنه يثبت ما يتصل به العقل، بحركته الذاتية، وانبعاث العقل بذاته. [٢٠]أيضا سبق المعتزلة الخوارج والزيدية من الشيعة فيرون قدرة العقل على إدراك المعرفة بنفسه مستقلاً عن السمع، وأن السمع إنما يأتي مصدقاً لأحكامه، وبناء على هذا الاتجاه يصح لنا أن نصف الخوارج بأنهم عقلانيون، وذلك لأنهم قدموا العقل في كثير من القضايا مدعين أنه يستطيع أن يصل إلى معرفة الأشياء الحسنة والأشياء القبيحة بنفسه وأن العدل ما يقتضيه العقل، وهذا هو مذهب المعتزلة. وفي هذا يذكر الشيخ المفيد أن المعتزلة والخوارج والزيدية متفقون في هذا الاعتقاد، أي القول باستطاعة العقل معرفة الواجبات الشرعية، دون السمع، يقول الشيخ المفيد في هذا: " أما المعتزلة والخوارج والزيدية فعلى خلاف ذلك أجمعوا وزعموا أن العقول تعمل بمجردها عن السمع. [٢١]وزعموا أن العقول تعمل بمجردها عن السمع فالخوارج تقول بالتحسين والتقبيح والعقليين في أكثر أمورهم التي ادعوا أن

العقل يدرك حقيقتها دون الرجوع إلى الحكم الشرعي فيها لتصحيح الحكم بحسنها أو قبحها، بل العقل يدرك في كل خصلة مدى قبحها أو حسنها، بما في الفعل من خاصية يدرك العقل حين وردوها عليه الحكم فيها ، والشروع حين يحكم فيها بحكم إنما يأتي كمخبر عنه وليس مثبتاً للحكم فيها. وفي هذا يقول البغدادي بعد أن ذكر بعض الفرق التي اتفقت في الاعتقاد في هذا الباب وهم الثنوية والتناسخية والبراهمة والخوارج والكرامية والمعتزلة... إلخ، اتفق هؤلاء كلهم فيما يذكر: فصاروا إلى أن العقل يستدل به على حسن الأفعال وقبحها على معنى أنه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الحسن، ويجب عليه الملام والعقاب على الفعل القبيح، والأفعال على صفة نفسية من الحسن والقبيح، وإذا ورد الشرع بها كان مخبراً عنها لا مثبتاً لها. [٢٢]وقد اعتبر ابن الجوزي الخوارج هم أول من نادى بتحسين العقل وتقبيحه، أي قبل ظهور المعتزلة، وما المعتزلة عنده إلا آخذة عن الخوارج هذا الأصل ومقلدة، لهم ويقول في ذلك: " ومن رأي هؤلاء يعني الخوارج أحدث المعتزلة في التحسين والتقبيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه. [٢٣]أما الأشاعرة فإنّهم يرون أن حُسْن الأشياء وقُبْحها، والثواب عليها والعقاب يعرف من جهة الشرع لا من جهة العقل، وهو قول أئمة الأشاعرة.فهم يرون أنَّ إرادة الله تعالى مطلقة، لذلك رفضوا قياس أفعال الله تعالى على أفعال العباد، فالله تعالى مالك الملك، يفعل ما يشاء في ملكه، ولا يُسأل عما يفعل، وغيره يُسأل عن فعله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فأثبتوا القدرة والمشيئة تعالى دون مرجح أو داع من دونه، وأفعاله لا توصف بالقُبح أو الظلم أو الشَّرِ، فهو المالك المتصرف في ملكه[٢٤] ، وهو عادل في كل ما يفعل " لو لم يخلق الخلق لم يخرج عن الحكمة، ولو خلق أضعاف ما خلق، وكانت كل هذه الوجوه منه صواباً وعدلاً وحكمة. [٢٥]يقول الإمام الباقلاني: والحسن ما وافق الأمر من الفعل والقبيح ما وافق النهي من الفعل وليس الحسن حسناً من قبل الصورة وليس القبيح قبيحاً من قبل الصورة. [٢٦]العقل لا يدل على حسن الشيء وقبحه في حكم التكليف من الله شرعاً ..... وقد يحسن الشيء شرعاً ويقبح مثله المساوي له في جميع الصفات النفسية فمعنى الحسن ما ورد الشرع بالثناء على فاعلة ومعنى القبيح ما ورد الشرع بذم فاعله. [٢٧]ويقول الإمام الأيجي " المقصد الخامس في الحسن والقبح: القبيح مانهي شرعا، والحسن بخلافه ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحه. [٢٨]إذاً؛ الأشاعرة لا يجعلون للعقل أي معيار في تصنيفهم للحسن والقبح والذي عليه مدار التكليف بل قد تجد بعضهم قد يقول بأن الله قد يجعل الواجبات على العباد محرمات.يقول الكلنبوي في حاشيته على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية "(قوله لأنه المالك على الأخلاق وله التصرف في ملكه كيف يشاء) فله أن يجعل الواجبات على العباد محرمات وبالعكس. [٢٩]هكذا نجد الأشاعرة دافحوا عن هذا المذهب كثيراً وتكلموا عنه في كتبهم وأشبعوه بحثًا. [٣٠]

المطلب الرابع مذهب الأشاعرة في التحسين والتقبيح:

ذهب الأشاعرة إلى القول بالتحسين والتقبيح الشرعيين، لا العقليين؛ فقالوا: إنه لا يجب على الله شيء من قبل العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود السمع، وقالوا : إن الحسن والقبح الذي يتعلق به المدح والثواب والذم والعقاب، إنما يُدرك بالشرع فحسب. [٣١]فالأشاعرة قالوا إن العقل لا يوجب شيئاً ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، ولهذا لم يحكموا بالحسن أو القبح في شئ من الأفعال قبل ورود الشرع، فلا معنى عندهم لوصف الفعل بأنه حسن إلا ما ورد الشرع بالثناء على فاعله، كما أن الوصف بكونه قبيحاً لم يصح إلا لكون الشرع ذم فاعله، ولو أن الشارع الحكيم عكس الأمر فحسن ما قبح، وقبح ما حسن لجاز ذلك لأنه تعالى هو الحاكم والمشرع. [٣٢]يقول أبو الحسن الأشعري : " والدليل على أنّ كلّ ما فعله، فله فعله، أنَّه المالك، القاهر، الذي ليس بمملوك، ولا فوقه مبيح، ولا آمر ولا زاجر ، ولا حاظر ولا من رسم له الرسوم، وحد له الحدود، فإذا كان هذا هكذا، لم يقبح منه شيء، إذ كان الشيء إنّما يقبح منّا، لأنّا تجاوزنا ما حُدَّ ورسم لنا وأتينا ما لم نملك إتيانه. فلما لم يكن البارئ مملوكاً ولا تحت أمر ، لم يقبح منه شيء. فإن قال : فإنّما يقبح الكذب لأنه قبحه، قيل له : أجل ، ولو حسّنه لكان حسناً، ولو أمر به لم يكن عليه اعتراض. فإن قالوا : فجوزوا عليه أن يكذب، كما جوّزتم أن يأمر بالكذب. قيل لهم: ليس كل ما جاز أن يأمر به جاز أن يوصف به. [٣٣]ويقول الإمام الباقلاني في معرض مناقشته للمخالف في هذه المسألة: ولسنا نعني – وفقكم الله – بقولنا: إنه لا يعلم بضرورته) أي بضرورة العقل) ولا بدليله حسن العقل ولا قُبحه، إنه لا يعلم به حُسن نظم الكلام وقبحه، وحسن رمى المؤمن للكافر، والكافر للمؤمن ودقته وإصابته... وإنما نريد وجوب الذم والمدح والثواب والعقاب على الأفعال[٣٤]ويقول الإمام الجويني: العقلُ لا يدل على حسن شيء ولا قبحه، وإنما يُتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع ، وموجب السمع، وأصل القول في ذلك أن الشيء لا يحسن لنفسه وجنسه وصفة لازمة له، وكذلك القولُ فيما يقبح، وقد يحسن في الشرع ما يقبح مثله المساوي له في جملة أحكام صفات النفس، فإذا ثبت أن الحسن والقبح عند أهل الحق لا يرجعان إلى جنس وصفة نفس، فالمعنى بالحسن: ما ورد الشرع بالثناء على فاعله والمراد بالقبيح ما ورد الشرع بذم فاعله. [٣٥]ويقول الإيجي : ولا) حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، وليس ذلك عائدا إلى أمر حقيقي في الفعل يكشف عنه الشرع، بل الشرع هو المثبت له والمبين، ولو عكس القضية فحسن ما قبحه وقبح ما حسنه، لم يكن ممتنعا، وانقلب الأمر). ويرى الإمام الآمدي أن الحسن هو ما حسنه الشرع، والقبيح هو ما قبحه الشرع وليس العقل، فقال : "

وأما أهل الحق فليس الحسن والقبح عندهم من الأوصاف الذاتية للمحال، بل وصف الشيء بكونه حسنًا أو قبيحًا فليس إلا لتحسين الشرع أو تقبيحه إياه، وبالإذن فيه أو بالقضاء بالثواب عليه، أو المنع منه أو القضاء بالعقاب عليه، أو تقبيح العقل له باعتبار أمور خارجية ومعان مفارقة من الأعراض بسبب الأغراض والتعلقات، وذلك يختلف باختلاف النسب والإضافات. [٣٦]ويقرر الآمدي مذهب أهل السنة في مسألة الحسن والقبح، وأن الفعل الحسن والفعل القبيح وصفهما بالحسن والقبيح ليس لذاتيهما وإنما باعتبارات فقال: " ومذهب أهل الحق من الأشاعرة وغيرهم: أن الحسن والقبح ليس وصفًا ذاتيًا للحسن والقبيح، ولا أن ذلك مما يدرك بضرورة العقل أو نظره؛ بل بإطلاق لفظ الحسن والقبيح عندهم باعتبارات غير حقيقية، بل إضافية يمكن تغيرها وتبدلها بالنظر إلى الأشخاص والأزمان والأحوال وهي ثلاثة:الأول: أن الأفعال تنقسم إلى ما وافق الغرض فيسمى حسنًا، وإلى ما خالف الغرض فيسمى قبيحًا، وإلى ما لا يوافق ولا يخالف فيسمى عبثًا. وبهذا الاعتبار قد يكون الفعل الواحد حسنًا بالنسبه لمن وافق غرضه، وقبيحًا بالنسبة لمن خالف غرضه.الاعتبار الثاني: إطلاق الحسن على ما أمر الشارع بالثناء على فاعله، ويدخل فيه الواجبات والمندوبات، وأفعال الله تعالى ويخرج منه المباحات؛ لعدم ورود الشرع بالأمر بالثناء على فعلها وتركها.الاعتبار الثالث: إطلاق الحسن على ما لفاعله أن يفعله، ويدخل فيه مع أفعال الله تعالى والواجبات والمندوبات والمباحات والمكروهات كراهة تنزيه غير أن إطلاق الحسن على المباح مختلف فيه بين أصحابنا. [٣٧]

المطلب الخامس الارادة الالهية ومفهوم التحسين والتقبيح

ان جميع الممكنات بلا شك داخلة في حيز الإرادة الإلهية التي لا يتعاصى منها شيء على الله جل جلاله .لكن نازعت المعتزلة اهل السنة والجماعة من الاشعرية واوردوا شبها حول إرادة الله لجميع الممكنات ويمكن ان نصور شبهتهم بالسؤال الآتي :–هل ان الله مريد ؟فاذا قلتم نعم ، فانا سنسألكم ايضا هل يريد الشرور والقبائح فاذا قلتم لا فقد خرجتم عما ذهبتم اليه من انه مريد ، واذا قلتم نعم ، فان هذا نقص في حقه تعالى ، لان مريد الخير خيّر ، ومريد الشر شرير وهكذا [٣٨]... !وحاصل الجواب على تلك المسائلات التي اوردها المعتزلة ينبغي لنا في بداية الحال ان نعرف ان الحسن والقبح لا يخلو من كونه مندرجا تحت ثلاثة معانٍ :–ان الحسن صفة الكمال كالعبد ل ، والقبح صفة النقص كالظلم .ان الحسن ما كان ملائما للغرض كموت العبد و ، والقبح ما كان منافيا للغرض كموت صديق .الحسن تعلق المدح عاجلا في الدنيا وتعلق الثواب آجلا في الآخرة [٣٩].وهذا المعنى الثالث هو محل النزاع فهو عند الأشاعرة شرعي وذلك لان الافعال كلها سواسية ، ليس شيء منها في نفسه بحيث يقتضي مدح فاعله وثوابه ولا ذم فاعله وعقابة وانما صارت كذلك بوساطة امر الشارع ونهيه عنها .وعند المعتزلة عقلي فانهم قالوا : للفعل في نفسه مع قطع النظر عن الشرع جهة محسنة مقتضية لاستحقاق فاعله مدحا وثوابا أو مقبحة مقتضية لاستحقاق فاعله ذما وعقابا ثم انها أي تلك الجهة المحسنة أو المقبحة قد تدرك بالضرورة من غير تأمل وفكر كحسن الصدق النافع ، وقبح الكذب الضار ، فان كل عاقل يحكم بهما بلا توقف وقد تدرك بالنظر كحسن الصدق الضار ، وقبح الكذب النافع مثلا ، وقد لا تدرك لا بالضرورة ولا بالنظر ولكن اذا ورد به الشرع علم انه ثمة جهة محسنة كما في صوم آخر يوم من رمضان حيث اوجبه الشرع أو جهة مقبحة كصوم اول يوم من شوال حيث حرمه الشرع فادراك الحسن والقبح في هذا القسم موقوف على كشف الشرع عنها بامره ونهيه[٤٠] .ومما يرد على المعتزلة في هذا المقام ما يلي :انتم تقولون ان قبح الكذب ذاتي ، وصفة القبح لازمة لذاته فيجب الا تتخلف تلك الصفة عن هذه الذات ، لكننا نرى ان الكذب قد يحسن اذا كان فيه عصمة دم نبي من ظالم ، ويذم تاركه قطعا وكذا يحسن الكذب اذا كان فيه إنجاء متوعد بالقتل ظلما[٤١] اذن ما كان حسنا وما كان قبيحا انما هو من آثار مناط الشرع ، مما امر به أو نهى عنه ، فان العقل لا يمكن ان يستظهر معاني الحسن والقبح في الاشياء وهذه عقيدة اهل السنة والجماعة المفضية إلى القول بان الاشياء لا تنطوي بذواتها على شيء من الحسن والقبح بل هي خارج ماهية ذلك الشيء [٤٢].وما عرفنا بالاشياء حسنا أو قبحا الا من تناسب وانسجام بعضها مع بعض وان تلك الصفات الحسنة أو القبيحة راجعة لبواعث خارجة عنها وان الاشياء كلها بالنسبة لبدأ الخلق سواء ، لكن امر الله به فحسن ونهى الله عنه فقبح[٤٣] .ومن جهة الخلق نعلم ان الله خالق كل شيء وما من شيء قديم مع الله فالقديم واحد ، وهو الله وكل ما سواه حادث ومن هذا صح بالإجماع [٤٤] والنص ان يقال :– الله خالق كل شيء ولا يصح ان يقال خالق القاذورات وخالق القردة والخنازير ، والاشياء القبيحة مع كونها مخلوقة له اتفاقابل يقال على سبيل الاجمال ان جميع الموجودات مخلوقة لله لا على التفصيل ، من انه خالق كذا من الجيف أو الاقذار واذا ذكر التفصيل بذلك فانها تذكر بقرينة تليق به جل جلاله حتى يصل بنا القول بان الله اراد الكفر من الكافر كسبا له شرا قبيحا منهيا ، كما أراد الإيمان من المؤمن كسبا له خيرا حسنا مأمورا به[٤٥] ولا يقال ان مريد الخير خيّر ومريد الشر شرير فان هذا باطل بمجرد ما لو سأل انسان هل يمكن القول بان مريد العلم عالم ومريد الجهل جاهل ومريد الصلاة مصلٍ ومريد الحركة متحرك ؟ .وهذا مما لا شك في بطلانه اذ لا يلزم من كون الإنسان مريدا للشيء كونه متحققا فيه ...!!!ومما ينبغي ان يدرك في مقام الحسن والقبح :ان خلق الشر ليس

قبيحا بل القبيح ان يكتسب الإنسان بمحض حريته ارادته الشر وهو يدري ان هذا شر ، فحقيقة القبح لا تتضح جلية الا عند اكتساب العبد لها واختيارها ولعل من مظاهر حكمته تعالى من خلق الشر ما جاء في قوله تعالى ﴿ ولنبلونكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ﴾ [٤٦]فالشر صار كقاعة الامتحان التي لا يمكن معرفة الناجح من غيره الا بها ، وان الشر ووجوده يعتبر الطرق والسحب للمعدن الأصلي للإنسان ووجود الخير وحده دون الشر ووجود الامور الحسنة دون السيئة لا يمكنها ان تميز معدن الإنسان ولا ان تقيس درجة ايمانه وصبره ، فطريق الله محفوف بالمكاره واذا اراد الله ان يمحص الصادق من غيره فانه يريد ان يقيم الحجة علينا باشياء نتميز بها حسنا أو قبحا من خلال ما نكتسبه اذ هو يعلم بنا ولكن جرت سنة الله بخلق الشرور وامثالها حتى يتجلى اسم الله الاعظم (العادل والعدل)

الخاتمة والنتائج

يعتبر هذا الموضوع من المواضيع المهمة في علم العقيدة، وصلة التقبيح والتحسين بجانب خلق أفعال العباد وما يتفرع عنها من مسائل.

نتائج البحث:

١) من اهم وادق المسائل في العقيدة هي مسالة خلق افعال العباد فان فيها مسائل متفرعة تبنى عليها اقوال ومعان كثيرة من بينها التحسين والتقبيح.

٢) ان التحسين والتقبيح ليس ذاتيا بل هناك ما يصرفه نحو التغير والتبدل من حالة الى حالة.

٣) للتحسين والتقبيح صلة كبيرة بقانون السببية الكبرى.

هوامش البحث

1 سلامة العزامي ،فرقان القرآن ، دار احياء التراث العربي ، مطبوع بهامش الاسماء والصفات للبيهقي .٧٧

٢ محمد ابو زهرة ، المذاهب الاسلامية , المطلعة النموذجية ، بيروت لبنان ،ط٦ ،١٩٩٨. ٤٥

٣ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، عرفان عبد الحميد ، مطبعة التربية ، بغداد .٧٧

٤ ابن عساكر / هو الحافظ أبو القاسم علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي ، ولد سنة (٤٤٩ هـ) وتوفي سنة (٥٧١ هـ) ، كان يُحدث الشام في وقتهِ ، ومن أعيان الشافعية ، وله مصنفات عديدة من اهمها كتاب (تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري) . أنظر وفيات الأعيان /إبن خلكان ، مصدر سابق : (٤/٣٠٩. ٣١١) .

٥ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / شمس الدين ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ؛ تحقيق : احسان عباس – (ب – ط) – بيروت : دار الثقافة ، (١٩٧٠ م) : (٣/٣٢١ –٣٢٢) .

٦ () ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٦٨٣/١ . مادة: (حسن) .

٧ () ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ١٧٥/٩ . مادة: (حسن) .

٨ () ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ٦٨٣/١ . مادة: (حسن) .

٩ () ينظر: الزبيدي، تاج العروس: ٢٠١/٢ . مادة: (حسن) .

١٠ () ينظر: الغزالي، المستصفى: ١١٢/١ ، والآمدي، الأحكام: ٧٩/١ .

١١ () ينظر: حاشية الحلخالي على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ٢/٢٠٩ .

١٢ () ينظر: الأيجي، المواقف في علم الكلام: ٢٦٩/٣ ، وشرح الجرجاني على المواقف: ١٨٣/٨ .

١٣ () التناسخية هم القائلون بتناسخ الأرواح في الأجساد والانتقال من شخص إلى أخر. ينظر: السامرائي، الغلو والفرق الغالية: ص ١٢٩

١٤ () البراهمة : هم المنسوبين إلى براهما كبير آلهة الهندوس وهم من اقدم الديانات. ينظر: ابن الجوزي، تلبيس إبليس: ص ٦٥ .

١٥ () الثنووية هم : من الفرق القديمة القائلة بأصلين للعالم هما النور والظلمة وأنهما خالقان. ينظر: الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص ١٢١ .

١٦ () الآمدي، الأحكام: ٨٠/١ .

١٧ () ينظر: سهير مختار، التجسيم عند المسلمين – مذهب الكرامية – : ص ٢٦٣ .

١٨ () ينظر: شرح منظومة السبزاوي: ص ٣١٠ .

١٩ () ينظر: النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٣٤٦/١ .

٢٠ () ينظر: النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٣١٣/١ .

٢١ () نقلاً عن آراء الخوارج: ص ١٦٥ .

٢٢ () ينظر: الشهرستاني، نهاية الأقدام : ص ٣٧٠ – ٣٧١ .

٢٣ () ينظر: تلبس إبليس: ص ٩٦ .

٢٤ () ينظر: د. فاروق الدسوقي، القضاء والقدر: ١٤٩/١ .

٢٥ () ينظر: البغدادي، أصول الدين: ص١٥٠ .

٢٦ () الباقلاني، الإنصاف: ص٤٩

٢٧ () ينظر: الشهرستاني، نهاية الأقدام : ص ٣٧٠ .

٢٨ () ينظر: الأيجي، المواقف: ٢٦٨/٣ .

٢٩ () ينظر: حاشية الكلنبوي: ١٨٦/٢ ، وينظر: الجويني، مذهب الأشاعرة في الإرشاد: ص ٢٥٨ وما بعدها، والغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد: ص١٣٧ ، والآمدي، غاية المرام من عام الكلام: ٢٣٥/١ ، والأيجي، المواقف في علم الكلام: ٢٦١/٣ .

٣٠ () ينظر: الكمال بن همام، المسامرة في شرح المسايرة: ص١٦١ ، ومحمد المدخلي، الحكمة والتعليل في أفعال الله: ص٩٢ .

٣١ () ينظر: أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: ١١٧ – ١٢٢ ، والجويني، الإرشاد: ص٢٥٨.

٣٢ () ينظر: شرح المواقف: ٢١٣/٨ ، ومحمود ابو دقيقة، القول السديد في علم التوحيد: ١٤٥/٢ .

٣٣ () ينظر: أبو الحسن الأشعري، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: ١١٧ – ١١٨ .

٣٤ () ينظر: المصدر نفسه: ص ٢٨٤ .

٣٥ () ينظر: الجويني، الإرشاد: ص ٢٥٨ .

٣٦ () ينظر: غاية المرام: ص ٢٣٤ .

٣٧ () الآمدي، أبكار الأفكار: ١٢١/٢ وما بعدها .

٣٨ ينظر نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني ، حرره وصححه الفرد جيوم (٢٥١) .

٣٩ ينظر السمط العبقري ١٠٩.

٤٠ ينظر المواقف (١٨١/٨–١٨٤) للشيخ عضد الدين الايجي وشرحه للجرجاني ط ١ ، مطبعة السعادة

٤١ المصدر السابق (ص ١٨٩)

٤٢ ماهية الشيء ما به الشيء من حيث هي هي ، أي هي قوام ذلك الشيء وأصله .

٤٣ السمط العبقري لمولانا خالد (ص ١٠٩) .

٤٤ الأجماع هو العزم التام على امر من جماعة اهل الحل والعقد وهم جماعة المجتهدين من امة سيدنا محمد ﷺ

٤٥ ينظر المسامرة (٣/٢) للكمال بن ابي شريف في شرح المسايرة للكمال بن الهمام في علم الكلام ، مطبعة السعادة مصر ، الطبيعة الثانية ١٣٤٧هـ

٤٦ سورة الانبياء آية ٣٥.